

سورة الانسان

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا (1) ﴾

شرح الكلمات:

هل أتى: أي قد أتى.

على الإنسان: أي آدم عليه السلام.

حين من الدهر: أي أربعون سنة.

لم يكن شيئاً مذكوراً: أي لا نباهة ولا رفعة له لأنه طين لازب وحماً مسنون وذلك قبل أن ينفخ الله تعالى فيه الروح.

المعنى الإجمالي :

قوله تعالى ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾ يخبر تعالى عن آدم أي البشر عليه السلام أنه أتى عليه حين من الدهر قد يكون أربعين سنة وهو صورة من طين لا روح فيها، فلم يكن في ذلك الوقت له نباهة أو رفعة فيذكر. هذا الإنسان الأول آدم أخبر تعالى عن بدء أمره.

وَبَيَّنَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ خَلَقَ الْإِنْسَانَ وَأَوْجَدَهُ مِنْ عَدَمٍ، وَبَسَّأَ اللَّهُ تَعَالَى الْإِنْسَانَ: أَلَا يَعْرِفُ أَنَّهُ مَضَى عَلَيْهِ حِينٌ مِّنَ الزَّمَانِ؟ قَبْلَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهِ الرُّوحَ، وَلَمْ يَكُنْ قَبْلَ ذَلِكَ شَيْئًا يُعْرَفُ فَيَذَكَّرُ اسْمَهُ؟ وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّهُمْ يَقْرُونَ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ قَدْ أَتَى عَلَيْهِ ذَلِكَ، فَيَقَالُ لَهُمُ: الَّذِي أَوْجَدَهُ مِنَ الْعَدَمِ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ كَيْفَ يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ إِحْيَاؤُهُ مِنَ الْعَدَمِ؟ وَالْإِنْسَانُ مِنْ حَيْثُ هُوَ إِنْسَانٌ مَرَّ عَلَيْهِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ كَانَتْ الْكَرَّةُ الْأَرْضِيَّةُ خَالِيَةً مِنْهُ، وَهَذَا الزَّمَنُ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ. وَ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾ أَي

أتى على الإنسان (جنس الإنسان) زمن كان فيه منسياً غير موجود فلم يكن آدم وبنوه شيئاً معروفاً ولا مخلوقاً ولا مذكوراً لأحد من الخليقة المتقدمين عليه وهم الملائكة والجن. وهذا إخبار بكون الإنسان في بدء الخلق معدوماً غير مخلوق والآية كالتقدمة والتوطئة للتي تعقبها والتأكيد لحاتمة السورة المتقدمة. وهي حقيقة لا ينكرها أحد ويؤكدها علماء طبقات الأرض الذين قالوا: لم يوجد الإنسان على الأرض إلا بعد خلقها بأحقاب طوال.

وكلمة (الإنسان) في الآية تعم كل إنسان ، إذ البشر كلهم مخلوقون ، حادثون ، وُجدوا بعد أن كانوا في العدم ، ولم يكونوا شيئاً يذكر ، كقوله سبحانه وتعالى - في شأن النبي زكريا عليه السلام - : (قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئْ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا) مريم/9 أما بالنسبة لذكر الله تعالى وعلمه ، فالبشر كلهم مذكورون في العلم الأزلي ، مكتوبون في اللوح المحفوظ ، وللرسل والأنبياء جميعاً ذكر خاص في المرتبة العليا ، فهم أفضل البشر ، وذكرهم في علم الله تعالى يناسب رفيع مقام النبوة والرسالة التي وهبهم الله إياها .

عظمة خلق الإنسان:

خلق الله آدم من تراب كما قال سبحانه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ (20)﴾ [الروم: 20]. والتراب إذا أضيف إليه الماء صار طيناً كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (12)﴾ [المؤمنون: 12]. والطين إذا تغير واسود لطول مجاورته للماء صار حمأً، ثم صار مستوناً، والمستون: المصور أو المصوب ليبس كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (26)﴾ [الحجر: 26]. فإذا يبس الطين واشتد صار صلصالاً، وهي المرحلة الأخيرة من خلق الإنسان كما قال سبحانه: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ (14)﴾ [الرحمن: 14].

أما الإنسان الذرية فقد خلقه الله من نطفة وهي الماء، فهو سبحانه:

﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (7) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سَلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (8)﴾ [السجدة: 7، 8]. وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عِلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤَمِّرُ بَارِعَ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ وَشَقِيَّ أَوْ سَعِيدًا، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ» متفق عليه.

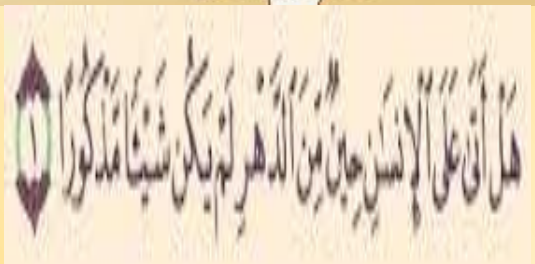
أمام هذه العظمة لا بد أن يقف الإنسان وقفات يعرف

بها أين هو من هذه العظمة وما دوره تجاهها:

- 1- أن يعلم الإنسان أنه ضعيف بخلقه وطبيعته، ولتقوية ذلك الضعف عليه أن يكون من المطيعين لله حتى يقوى ويكون من المقربين، فإنه لو عصى الله وتكبر عليه ازداد ضعفاً وذلاً وهواناً وبُعداً من ربه.
- 2- أنه لا بد من التفكير في خلق السماوات والأرض للتعرف على الله الخالق العظيم.
- 3- أن يسخر الإنسان وسائل التطور الحديثة في طاعة الله وفي الدعوة إلى سبيله، وأن يزيده النظر في الكون بصيرة إلى بصيرته وإيماناً إلى إيمانه.
- 4- عند النظر في عظمة الكون المخلوق لله فإنه يجب على الإنسان أن يتواضع وأن يعلم أنه مخلوق صغير جداً يتحرك على ظهر الأرض، وهذا يزيده معرفة بنفسه وذاته، ويكون على علم ويقين أنه مخلوق ضعيف، وأنه عائد إلى الله العلي العظيم.
- 5- ألا ييأس المسلم من تسلط الأعداء على الدين وأهله، وأن يعلم علم اليقين أن الله على كل شيء قدير وأنه من عظمته يقول للشيء كن فيكون، فتزداد ثقته بالله وتمسكه بحبله، ويعلم أن العباد ضعفاء محتاجون لله العظيم، مهما تكبروا وطغوا في الأرض، فإنهم عائدون إلى رحمهم العظيم الأعلى.

هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينَ مِنَ الدَّهْرِ

سلسلة تفسير القرآن العظيم الإصدار رقم (450)



فَوَائِدُهَا مِنْ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْإِنْسَانِ الْآيَةِ 1

تهدى ولا تباع

ولا تنسوننا من صالح دعائكم

أَعَدَّهَا (عزمي إبراهيم عزيز)

8- لا بد أن يُدرك كل إنسان قيمة نفسه، وحقارة شأنه أمام آلائه ونعمائه، أن يتدبَّر الإنسان أنه خرج هو والبول من مكان واحد، أن أوله نطفة قدرة، وآخره جيفة نينة، وأنه بين ذلك يحمل الغدرة، فيم يتكبر الإنسان!؟

9- أهم أسباب خلق الله تعالى الإنسان:

1- خلق الله الانسان من أجل العبادة والسجود والتسبيح والحمد والتقديس له.

2- خلق الله الانسان لكي يؤمن به إيماناً مطلقاً وأن لا يُشرك به شيئاً.

3- خلق الله الانسان ليكون خليفته في الأرض بعد الجن، وأن يعمرها الأرض ويقيموا العدالة فيها.

4- خلق الله الانسان لأجل تجلي صفات وأسماء الله الحسنی، وتكاثر النسل البشري على الأرض.

5- خلق الله الانسان لأجل الفلاح من الابتلاءات، وأن يعرفوا الجنة ونعيمها، ليست بسعة رخيصة.

6- خلق الله الانسان لأجل معرفة العبد عن سبب خلقه ووظائفه وواجباته تجاه الخالق.

10- أن الإنسان لم يخلق نفسه، لأنه كان عدماً، والعدم لا يخلق شيئاً، ولم تخلقه الطبيعة، لأن الطبيعة هي عبارة عن الأحجار والأشجار والأثمار والبحار، وكل هذه صماء بكماء لا تعقل، وهي فاقدة للقوة والبصر والسمع والعقل، وغير ذلك، فكيف تعطي الإنسان ما هي فاقدة له؟! ومن القواعد العقلية المسلمة أن فاقد الشيء لا يعطيه.

11- على العبد أن يجتهد في عبادة ربه، وأن يستعد للقاء الله في يوم يشيب فيه الولدان، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد.

والله اعلم ..

صلى الله على نبينا محمد وعلى اله وصحبه وسلم .

الفوائد :

1- بيان نشأة الإنسان الأب والإنسان الأبن وما تدل عليه من إفضال الله وإكرامه لعباده.

2- خلق الله تبارك وتعالى الإنسان في أحسن تقويم، وخلق الإنسان من أعظم الدلائل على خالقه وفطره.

3- وفي الإنسان من العجائب الدالة على عظمة الله وقدرته ما تنقضي الأعمار في الوقوف على بعضه، وتعجز العقول عن إدراك كنهه، وتعجز الألسنة عن وصفه: {فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (5) خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ ذَافِقٍ (6) يُخْرَجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (7) إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (8)} [الطارق: 5 - 8].

4- خلق الله الإنسان في كبد كما قال سبحانه: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ (4)} [البلد: 4].

5- إن خلق الإنسان بهذا التكوين العجيب، وبهذه الخصائص الفريدة، وبهذه الوظائف اللطيفة المتنوعة الكثيرة، لآيات تدهش العقول، وتحير الأبواب، ولكننا نسيناها لطول تكرارها، ولقربها منا، وإلغيناها.

6- أعظم وأفضل ما أنفقت فيه الأنفاس .. التفكير في آيات الله .. وعجائب صنعه .. والانتقال منها إلى تعلق القلب بالله .. وتعظيمه وتوقيره سبحانه دون شيء من مخلوقاته بتوحيده والإيمان به .. وطاعته، وعبادته.

7- إن سبب الخسران في الدنيا والآخرة الفكر فيما يفنى، والجهد في غير محله، والجلوس على موائد الشيطان، والإعراض عن موائد الرحمن.

إن الرابع حقاً من حجز المقاعد كلها للدين، الفكر واللسان، والسمع والبصر، والقلب والعقل، والروح والبدن، وبقية الجوارح: {فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (5) خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ ذَافِقٍ (6) يُخْرَجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (7)} [الطارق: 5 - 7].